وليم مارشال إيريل بمبروك ودوره السياسي في عصر آل بلانتاجنت 1167-1219 م/563-616هـ

د/ سعيد السيد علي فرغلي
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب – جامعة المنوفية

ارتبط تاريخ وليم مارشال William Marshal بعائلة آل بلانتجنت Plantagenet من بداية عمره حيث خدم خمس ملوك هم الملك هنري الثاني Henry II (1154-1189/549-585 هـ)، والملك هنري الصغير Henry the young (1170-1183/556-579 هـ)، والملك ريتشارد قلب الأسد Richard the Lion Heart (1189-1199/585-596 هـ)، والملك يوحنا John (1199-1216/596-613 هـ)، والملك هنري الثالث Henry III (1216-1272/613-671 هـ)، وبرز دور وليم مارشال السياسي خلال عهود هؤلاء الملوك واستطاع وليم مارشال نيل ثقة هؤلاء الملوك على الرغم من اختلاف شخصياتهم، وكان وليم مارشال من أسرة عسكرية حيث كان جده جيلبرت Gilbert مارشال (مسئول عن الشئون العسكرية) للملك هنري الأول (1100-1135/494-539 هـ)، كما كان والده يوحنا فيتز جيلبرت John Fitz Gilbert مارشال لملك انجلترا ستيفن أف مرتان وبلوا Stephen of Martian and Boulogne (1135-1154/530-549 هـ). وكان ميلاد وليم مارشال خلال الحرب الأهلية بين ملك انجلترا ستيفن والإمبراطورة ماتيلدا Matilda وفي أثناء ذلك حاز يوحنا مارشال قلعة مارلبورو Marlborough سنة 533/1138 هـ من قبل ملك انجلترا ستيفن، والتي ولد فيها وليم مارشال [1]، وكانت أمه سيبل Sibile شقيقة باترك إيريل اف سالزبوري Patrick of Salisbury [2].

ولا يعلم العديد من المؤرخين بالضبط تاريخ ولادة وليم مارشال وأغلب الظن أنه قد ولد قبل وقت قصير من سنة 535/1141 هـ، حيث تشير المصادر إلى أن معركة لنكولن Lincoln كانت سنة 535/1141 هـ التي هزم وأسر فيها ستيفن ملك انجلترا على يد الإمبراطورة ماتيلدا في الثاني من فبراير سنة 1141/ 22 جمادى الآخرة

1 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, p. 8)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 3-4)

2 (Painter 1982, pp. 8-9)

سنة 535 هـ، وترتب على هذه الهزيمة أن انفض العديد من البارونات من حول الملك ستيفن بما فيهم يوحنا مارشال الذي انضم إلى قوات الإمبراطورة ماتيلدا، وبعد أن حصل الملك ستيفن على حريته مقابل إطلاق سراح روبرت إيريل أف جلوسستر Robert Earl of Gloucester وهو أخ غير شقيق للإمبراطورة ماتيلدا [3].

وقد قرر الملك ستيفن معاقبة يوحنا مارشال فاتجه إلى قلعة نيوبوري Newbury إحدى قلاع يوحنا، والتي كان في ذلك الوقت بداخلها وقام بحصارها وقطع عنها كافة الإمدادات والمؤن وضيق الخناق عليها، وطلب الملك ستيفن من يوحنا مارشال تسليم قلعة نيوبوري، فرفض يوحنا وطلب هدنة لمدة يوم للحصول على إذن من الإمبراطورة ماتيلدا لتسليم القلعة، فوافق الملك ستيفن وطلب منه أحد أبنائه كرهينة وهدده بشنق ابنه إذا لم يحافظ يوحنا على وعده، وقدم يوحنا مارشال ابنه الثاني وليم وكان طفلا صغيرا. ولم يعبأ يوحنا مارشال بسلامة ابنه على الرغم من تهديد الملك ستيفن بشنق ابنه أمام القلعة معتمدا على أنه يعلم أن الملك ستيفن عطوف لا يعدم طفل برئ [4]، وظل وليم الطفل عند الملك ستيفن حتى انتهى النزاع بينه وبين الإمبراطورة ماتيلدا عقب معاهدة ولنجفورد Wallingford سنة 1153 م/548 هـ، وبموجب هذه المعاهدة اتخذ الملك ستيفن الأمير هنري بلانتجنت بن الإمبراطورة ماتيلدا وريثا له [5]، وبعد ذلك أعاد الملك ستيفن وليم الصبي إلى أبيه يوحنا مارشال في قلعة مارلبورو [6].

---

3 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 8)
(Roger of Hoveden 1853, v.1, pp. 238-245)
(Roger of Wendover 1849, v. 1, 492-493)
(Matthew 1853, pp. 46-47)

4 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 9-10)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 10)

5 (Roger of Hoveden 1853, v. 1, pp. 252-254)
(Roger of Wendover 1849, v. 1, pp. 509-510)
(Matthew 1853, v. 2, pp. 52-53)

6 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 13)

وطبقا لمبدأ توريث الابن الأكبر في النظام الإقطاعي أصبح وليم بلا أرض أو مال نظرا لكونه الابن الثاني، ولكي ينجح ويعيش كان عليه أن يذهب إلى نورماندي لتلقي التدريب ليصبح فارس كي يتزود بالمهارات اللازمة، ليستطيع العمل بعد ذلك لدى الملك أو البارونات كتابع. وبالفعل عبر وليم القنال الانجليزي إلى نورماندي سنة 1154 م/549 هـ، وهناك تلقى وليم أفضل تدريب عسكري وأصبح فارسا في سنة 1159 م/554 هـ، على يد وليم أف تانكرفيل William of Tancarville ابن عم جون مارشال [7]. وكان أول اختبار للفارس وليم كمحارب في معركة درينكورت Driencourt الواقعة على الضفة الشمالية لنهر بثون Bethune سنة 1167 م/563 هـ لمساعدة الملك هنري الثاني في صراعه ضد ملك فرنسا لويس السابع Louis VII (1137-1180 م / 532-576 هـ) وقد كان ذلك عندما رحل الملك هنري الثاني إلى نورماندي في صيف سنة 1167 م / 563 هـ وهناك استدعى وليم أف تانكرفيل الذي كان بصحبته قوة صغيرة من الفرسان منهم الفارس وليم للدفاع عن المعسكر النورماني في دينكورت، وفي هذه المعركة قتل جواد الفارس وليم وبالرغم من ذلك فقد أبدى الفارس وليم براعة فائقة في هذه المعركة أكسبته شهرة فائقة كمحارب عظيم [8].

وفي وقت لاحق من سنة 1167 م / 563 هـ قرر الفارس وليم العودة إلى انجلترا وهناك دخل في خدمة خاله باترك أف سالزبوري كأحد فرسانه، وبعد وقت قصير في سنة 1168 م / 564 هـ عبر الفارس وليم مع خاله باترك أف سالزبوري القنال الانجليزي إلى بواتيه Poitou حيث كانوا يرافقون الملكة إليانور زوجة الملك هنري الثاني لقمع التمرد هناك، وفي كمين قتل خاله باترك أف سالزبوري على يد جاي أف لوزجنان Guy of Lusignan ، وعندما رأى الفارس وليم مقتل خاله أصابته حالة من الهياج وقاتل

7 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 13)

8 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 23-24)
(Roger of Wendover 1849, v. 1, p. 555-556)
(Matthew 1853, v. 2, p. 60)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 19-22)

بوحشية بالغة رغبة في الانتقام لمقتل خاله [9]، وفي نفس المعركة جرح وأسر الفارس وليم، لكنه افتدي من قبل الملكة إليانور Eleanor التي كانت معجبة بشجاعته [10] وأيضا كانت براعة الفارس وليم في المعركة، السبب في اختيار ملك انجلترا هنري الثاني له في منصب المارشال بعد تتويجه لابنه هنري الصغير ملكا أثناء حياته سنة 1170 م / 566 هـ [11].

وفي ربيع سنة 1173 م / 569 هـ حدث تمرد ضد الملك هنري الثاني بقيادة ابنه الملك هنري الصغير وانضم إليه في التمرد أخواه ريتشارد دوق أوف أكوتين، وجيفري كونت أف بريتاني Geoffrey of Brittany وأمه الملكة إليانور، وحماه الملك لويس السابع بسبب رفض الملك هنري الثاني منح الملك هنري الصغير وإخوته سلطه حقيقية ودخل مادي كبير سنة 1173 م / 569 هـ ، وعلى الرغم من تعاطف وليم مارشال مع الملك هنري الثاني إلا أن روابط الولاء الإقطاعي جذبته إلى جانب الملك هنري الصغير، ذلك أنه لم يحصل على أي إقطاعية من الملك هنري الثاني تجعله يرتبط به بيمين الولاء والتبعية.

وفي العام التالي انتهى التمرد بإعطاء الملك هنري الثاني أبناءه المزيد من المال والسلطة وذلك عندما اجتمعوا في فاليس Falaise في (الحادي عشر من أكتوبر سنة 1174 م / العاشر من ربيع أول سنة 570 هـ) على معاهدة السلام، وأما فيما يتعلق بموقف الملك هنري الثاني من وليم مارشال فلقد عفا عنه ولم يحمل أي أحقاد ضده [12].

---

9 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 23-25)
(Roger of Hoveden 1853, v.1, pp. 316-317)

10 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 26-28)

11 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 29)

12 (Roger of Hoveden 1853, v. 1, p. 326)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 12)
(Matthew 1853, v. 2, p. 62)
(Roger of Hoveden 1853, v. 1, 368-374)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 23)
(Matthew 1853, v. 2, p. 63)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 35-37)

وفي الفترة من سنة 1176 م / 572 هـ حتى سنة 1179 م / 575 هـ كان الإيريل وليام مارشال يطوف ميادين القتال في مسابقات الفروسية في شمال فرنسا من أجل توفير النفقات وتحقيق الثراء ذلك أنه لم يكن لديه إرث أو إقطاع فكل ما يملكه هو مهارته القتالية، حيث أُعلنت مكانة وليم مارشال كفارس لا يهزم في المبارزات [13].

أثار نجاح وشهرة وليم مارشال حقد بعض الغيورين من حاشية الملك هنري الصغير فأعدوا له مؤامرة لتحطيمه والإيقاع بينه وبين الملك هنري الصغير سنة 1182 م / 578 هـ وذلك بأن اتهموه بأنه على علاقة آثمة مع زوجة الملك هنري الصغير، الملكة مارجريت Marguerite وعندما علم الملك هنري الصغير بهذه الشائعة رفض ذلك، ولم يتعرض لوليم مارشال بسوء، وبعد أشهر قليلة أرسل هنري زوجته مارجريت إلى شقيقها ملك فرنسا فيليب الثاني أوغسطس Phillip II Augustus (1180 – 1223 م / 576 – 620 هـ) خوفا من أن تكون هذه الشائعة نهاية اتصاله البارز بآل بلانتجنت واتجه إلى كولونيا Cologne الواقعة غرب الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بغرض الحج لزيارة ضريح الملوك الثلاثة سنة (1183 م / 579 هـ) [14] (هو ضريح ضم رفاة ثلاثة من المجوس، قاموا بزيارة السيد المسيح عقب ولادته وقدموا له هدايا من الذهب، والتمر، واللبان).

وفي فبراير 1183 م / شوال 579 هـ ، حدث تمرد آخر بين الملك هنري الثاني وابنه ريتشارد من جانب ، والملك هنري الصغير وأخيه جيفري من جانب آخر، وكان وليم مارشال في ذلك الحين بعيدا عن الأحداث، وحينما حوصر الملك هنري الصغير في قلعة ليموج Limoges، في مارس سنة 1183 م / ذو الحجة 579 هـ قرر الملك

---

[13] (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 36-39 ; 40-43 ; 46-49 ; and 63-64)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 37-43)

[14] (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 66-67 and 72- 77
(Roger of Hoveden 1853, p. 14 ; p. 22)
(C.F. Also: Painter 1982, v. 2, pp. 46-47)

هنري الصغير ومستشاروه استدعاء وليم مارشال لاحتياجهم إليه، لحكمته وشجاعته، فاستدعى الملك هنري الصغير وليم مارشال وطلب منه استئناف موقعه كقائد لقواته. وعلى الفور عاد وليم مارشال من كولونيا، ولكن الملك هنري الصغير شعر في مايو بالمرض في الخامس من يونيو سنة 1183 م / الحادي عشر من صفر سنة 579 هـ ، حيث تعرض لحمى ونزلة معوية وقرحة في الأمعاء مما أضعفه كثيرا [15].

وعندما أحس الملك هنري الصغير بأنه على وشك الموت، استدعى وليم مارشال وأعطاه صليبه ليحمله إلى بيت المقدس على رأس حملة بدلا منه، حيث وضع عباءته على كتفي وليم مارشال وربط حبل العباءة حول عنقه، وفي الحادي عشر من يونيو سنة 1183 م / التاسع والعشرين من صفر سنة 579 هـ توفي الملك هنري الصغير ، فحمل وليم مارشال جسده إلى مدينة روان Rowan في نورماندي حيث دفن في كنيسة القديسة مريم Saint Mary، ثم ذهب وليم مارشال لزيارة الملك هنري الثاني الذي أعطاه مبلغ أربعين مارك (ويقدر المارك الذهبي ب 2,3 جم ذهب، أو 18-20 جم فضة) فقط كنفقات لرحيله إلى الشرق، وأخذ الملك هنري الثاني من وليم مارشال أفضل جوادين لديه، وأخذ منه أيضا عهد بالولاء لضمان تنفيذه المهمة الموكلة إليه وعودته السريعة إلى أراضي بلانتجنت، مما أضطر الأخير إلى الاقتراض من أصدقائه، وبالفعل ذهب وليم مارشال إلى بيت المقدس سنة 1183 م / 579 هـ وقضى هناك عامين يحارب مع فرسان الداوية Templers ضد المسلمين [16]، ثم عاد وليم مارشال إلى أراضي البلانتجنت في سنة 1186 م / 582 هـ وبمجرد عودته من الأراضي المقدسة ذهب لمقابلة الملك هنري الثاني في نورماندي وانضم ثانية إلى حاشيته، ومنذ ذلك الوقت خدم وليم مارشال الملك هنري

15 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 77-78)
(Roger of Hoveden 1853, p. 21-26)
(Roger of Wendover 1849, p. 52)

16 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 81 and pp. 84-86)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 26-28)
(Tyerman 1988, p. 47 and p. 50)

الثاني كفارس ومستشار وسفير، وواجه وليم مارشال الفرنسيين في المعارك مرارا وتكرارا، حيث حدث أغلب القتال على الجانب الفرنسي للقنال الإنجليزية، ومن ذلك أنه في ربيع سنة 1186 م / 582 هـ ، احتلت القوات الانجليزية بلدة جيسورس Gisors الفرنسية .[17]

وإزاء تلك التطورات أرسل الملك هنري الثاني سفارة إلى ملك فرنسا فليب الثاني أغسطس في يوليو 1188 م / جمادى الأولى 584 هـ، تتكون من وليم مارشال، وولتر رئيس أساقفة روان Walter Archbishop of Rouen، ويوحنا أسقف إفركس John Bishop of Evreux بغرض تعويض ملك انجلترا هنري الثاني الأضرار التي لحقت به وبشعبه، وفي حالة رفض ذلك من ملك فرنسا سينتقم منه هنري الثاني، ولكن ملك فرنسا اشترط استرجاع بيري Berry ونورمان فكسن Norman Vexin له ولمملكته من أجل قبول هذا العرض، وقد قوبل شرطه بالرفض من قبل الملك هنري الثاني ولذلك حشد الملك هنري الثاني قواته ودخل أراضي ملك فرنسا في أواخر يونيو سنة 1188 م / جمادى الأولى 584 هـ، وحرق العديد من القرى، وأشاد الأمير ريتشارد أف أكوتين **Duke of Aquitaine** بدور وليم مارشال في هذه المعركة [18].

وقد تمرد الأمير ريتشارد أف أكوتين مرة أخرى على والده الملك هنري الثاني سنة 1189 م / 585 هـ ، عندما علم بأن أبيه الملك هنري سوف يعطي التاج إلى شقيقه الأصغر يوحنا، ولذلك ترك المعسكر الانجليزي وانضم إلى ملك فرنسا فيليب الثاني، وترتب على هذا اعتماد الملك هنري الثاني على وليم مارشال المخلص دائما له، وبرهانا على تقديره وعد الملك هنري الثاني المارشال وليم بزواجه من إحدى أغنى الوريثات في انجلترا. وعندما علم الأمير ريتشارد بتحرك أبيه من ليمان Le Mans إلى شينون

17 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 86)

18 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 90-91)
(Roger of Hoveden 1853, pp. 88)

Chinon، قرر اعتراض أبيه وأخذه رهينة للحصول على فدية، فقفز على جواده ونسي أسلحته، ولكن وليم مارشال شاهده فكمن له في الرابع من يونيو سنة 1189 م / السابع عشر من ربيع آخر سنة 585 هـ، وكان مسلحا بالكامل، تردد وليم في قتل الأمير ريتشارد لكونه بدون سلاح فقتل حصانه بدلا منه وسقط الأمير ريتشارد على الأرض، وهكذا نجح وليم مارشال في منع الأمير ريتشارد من ملاحقة الملك هنري الثاني [19].

وفي قلعة شينون توفي الملك هنري الثاني في السادس من يوليو سنة 1189 م / 20 جمادى الأولى سنة 585 هـ، وكانت آخر مهمة للمارشال وليم تجاه سيده هي قيامه بدفنه في دير فونتيفرولت نانس Fontevrault Nuns (دير مزدوج للرهبان والراهبات، يقع قرب شينون، في أنجو، فرنسا) وبعد ذلك وصل ريتشارد إلى الدير وهناك دُعي وليم مارشال للقائه ودار بينه وبين وليم مارشال حديث قصير حول سعي وليم مارشال لقتله، انتهى بعفو ريتشارد عن وليام مارشال [20].

وعندما خلف الأمير ريتشارد والده في الحكم، تذكر أنه يدين بحياته للمارشال وليم، كما تذكر وعد الملك هنري الثاني له بالزواج من إيزابيل تعويضا لخدماته، فرتب ريتشارد لزواج (الفارس بدون أرض) وليم مارشال من إيزابيل Isabel (1172-1240 م / 568-638 هـ) وكان عمرها ثمان عشرة سنة، وهو في الخمسين تقريبا، وهي ابنة ووريثة ريتشارد دي كلير Richard de Clare إيريل بمبروك Pembroke غرب ويلز Wales وإيريل استرجيل Striguil جنوب شرق ويلز والمعروفة أيضا باسم شيبستو Chepstow، ولينستر Leinster في أيرلندا، وذلك لكونها حفيدة درموت Dermot ملك لينستير، كما أمر الأمير ريتشارد المارشال وليم بالتوجه إلى انجلترا للحفاظ على استقرار

19 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 108-109)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 106-108)

20 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, p. 115 and p. 118)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 111)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 76)
(Matthew 1853, v. 2, p. 78)

المملكة حتى قدومه وتتويجه، ولذلك أسرع وليم مارشال في العودة إلى انجلترا. وعندما وصل لندن London تزوج وليم مارشال الوريثة إيزابيل في أغسطس سنة 1189 م / جمادى الآخرة سنة 585 هـ، وبهذا الزواج أصبح سيدا إقطاعيا في استرجيل، وبمبروك، ولونجفيل Longueville في نورماندي، ولينستر، وأصبح من أغنى وأقوى الإيرلات في مملكة بلانتجنت [21].

وبعد ذلك عاد ريتشارد إلى انجلترا وقطع بعودته شهر عسل وليم مارشال وزوجته إيزابيل، حيث بقي وليم إيريل بمبروك بجانب ريتشارد لتحضير مراسم حفل التتويج، وشارك وليم إيريل بمبروك في العرض الضخم لمراسم حفل تتويج ريتشارد في كنيسة وينشيستر Winchester في الثالث من سبتمبر سنة 1189 م / العشرين من رجب سنة 585 هـ، حيث حمل الصولجان الملكي المصنوع من الذهب الذي كان يعلوه صليب من الذهب أمام الملك [22].

وبعد بدء الملك ريتشارد قلب الأسد في مشروع الحملة الصليبية الثالثة بحماس، ولما كان الملك ريتشارد بحاجة ماسة إلى المال، عرض كل شيء في مملكة بلانتجنت للبيع، وكان وليم مارشال إيرل استرجيل شاهدا وموقعا على وثيقة عقد بيع إقطاعية سادبريج Sedbergh مع وبنتاك Wapentake إلى هيو أسقف درهام Hugh Bishop of Durham في الثامن عشر من سبتمبر سنة 1189 م / الخامس من شعبان سنة 585 هـ [23]، ثم عقد ملك انجلترا ريتشارد مجلسا عاما في لندن في أكتوبر سنة 1189 م / شعبان 585 هـ، حضره مبعوثو ملك فرنسا فيليب وويليم مارشال إيريل بمبروك

---

21 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 115 ; v. 1, n. 82, p. 312)
(Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 118-122)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 66, and pp. 76-77)

22 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 123)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 117)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 79)
(Matthew 1853, v. 2, p. 78)

23 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 120-121)

وآخرون وأقسموا جميعا على حمل الصليب والتجمع في فيزيلاي Vezelay في نهاية عيد الفصح للذهاب إلى بيت المقدس [24]. وبعد أن تم إعداد وتجهيز كل شيء أصبح الطريق ممهدا لرحيل ملك انجلترا ريتشارد إلى الشرق فاتجه إلى دوفر Dover في الخامس من ديسمبر 1189 م / الرابع والعشرين من شوال سنة 585 هـ حيث عبر القنال الانجليزي إلى كليه Calis في الحادي عشر من ديسمبر سنة 1189 م / الثالث من ذي القعدة سنة 585 هـ ومنها إلى مقاطعة نورماندي في الرابع والعشرين من ديسمبر سنة 1189 م / الرابع عشر من ذي القعدة سنة 585 هـ، وهناك التقى مع وليم مارشال إيريل بمبروك الذي رافقهم جنوبا إلى فيزيلاي ومنها إلى ليون Lyons ثم اتجه إلى مارسيليا Marseilles ومن هناك أبحر إلى مسينا Messina في جزيرة صقلية Sicily التي وصلها في الثالث والعشرين من سبتمبر سنة 1190 م / الحادي والعشرون من شعبان سنة 586 هـ [25].

وفي مؤتمر عقده ملك انجلترا ريتشارد في نورماندي في مارس سنة 1190 م / صفر سنة 586 هـ قام بتعيين وليم لونج شامب William Long Champ أسقف إلي Ely مستشارا للملك لإدارة شئون الحكم وإقرار النظام في المملكة أثناء غيابه، وبالرغم من الأراضي الشاسعة التي منحها الملك ريتشارد لأخيه الأمير يوحنا John إيريل مورتان Mortaigne فإنه لم يمنحه أي سلطة أثناء غيابه. وفي يونيه سنة 1190 م / جمادى الأولى سنة 586 هـ تم تعيين وليم لونج شامب مبعوثا بابويا في انجلترا استجابة لطلب الملك، وعلى هذا أصبح وليم لونج شامب له السيادة على الكنيسة وعلى انجلترا بأكملها [26].

وفي فبراير سنة 1191 م / محرم سنة 587 هـ تلقى الملك ريتشارد عدة رسائل من انجلترا تتضمن سوء حكم المستشار وليم لونج شامب للملكة وتآمره مع الأمير

---

24 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 125-126) (Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 84-85)

25 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 133-157)

26 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 115 and pp. 137-138)

يوحنا شقيق الملك ريتشارد للسيطرة على انجلترا، ووفقا لذلك أرسل الملك ريتشارد إلى انجلترا وليم مارشال إيريل بمبروك من مسينا بخطاب يأمر فيه مستشاره وليم لونج شامب بأن يكوّن كلا من وليم مارشال إيريل بمبروك، وجوفري فيتز بيتر Geoffrey Fitz Peter، ووليم برووير William Bruere وهيو باردولف Hugh Bardolph لجنة لإدارة شئون المملكة أثناء غيابه [27]، وبعد ذلك استلم الملك ريتشارد عدة شكاوى أخرى من انجلترا عن غطرسة المستشار والمندوب البابوي وليم لونج شامب، وعلى ذلك كتب الملك ريتشارد إلى نبلاء انجلترا، ووليم مارشال إيريل بمبروك، وجوفري فيتز بيتر، ووليم برووير، وهيو باردولف، خطابا جاء فيه: "نحن نعهد إليكم بإدارة شئون المملكة، وحرية التصرف في كل من الأراضي والقلاع" [28] وفي نفس الوقت أتى من صقلية وليم رئيس أساقفة روان يحمل خطابات من الملك ريتشارد بتعيينه مع المستشارين الأربعة السابق ذكرهم في إدارة شئون المملكة [29]. ونشب نزاع بين وليم لونج شامب مستشار الملك، والأمير يوحنا إيريل مورتان شقيق الملك في أوائل أكتوبر سنة 1191 م / رمضان سنة 587 هـ، حول قلعة نوتنجهام Nottingham، وقلعة تيكهيل Tickhill وقلعة لنكولن التي تخص الملك ريتشارد، ومن خلال وساطة العديد من الأساقفة عقد اتفاقية بينهم أخذ بمقتضاها وليم مارشال إيريل بمبروك قلعة نوتنجهام حتى يعود الملك ريتشارد من الأراضي المقدسة، وفي حالة وفاة الملك ريتشارد في الحج تسلم إلى الأمير يوحنا [30].

وفي التاسع من أكتوبر سنة 1191 م / الثامن عشر من رمضان سنة 587 هـ، حدث صدام حاد بين المستشار وليم لونج شامب، والأمير يوحنا إيريل مورتان في الطريق بين وندسور Winsor ولندن، انتهى بلجوء المستشار وليم لونج شامب ومن

---

27 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 193)

28 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 127-128)
(Richard, King of England, Letter to nobles of England C.F. Roger of Wendover 1849)

29 (Richard, Letter to William Marshal C.F. Roger of Wendouver 1849)

30 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 225)

معه إلى برج لندن، ثم دخل لندن الأمير يوحنا وكل أساقفة وإيريلات انجلترا في نفس اليوم، وفي اليوم التالي التقى الأمير يوحنا وكل أساقفة وإيريلات انجلترا مع مواطني لندن في كنيسة القديس بولس Saint Paul، وفي هذا الاجتماع اتهم كل من وليم مارشال، ووليم رئيس أساقفة روان المستشار وليم لونج شامب بالعديد من المخالفات وقررا خلعه واستبداله برئيس أساقفة روان وليم، وظل وليم مارشال إيريل بمبروك أحد خمسة مستشارين يحكمون انجلترا طول فترة غياب الملك ريتشارد عن مملكته [31].

وبعد أن أقسم المستشار وليم لونج شامب بتسليم كل القلاع التي بحوزته في مملكة انجلترا إلى رئيس أساقفة روان، أمر الأمير يوحنا أف مورتان بإطلاق سراحه من برج لندن، وعلى الفور رحل وليم لونج شامب إلى فرنسا ومن هناك أرسل رسل إلى كل من البابا سلستين الثالث Celestinus III (1191-1198 م / 587-595 هـ) والملك ريتشارد يخبرهما بما فعله الأمير يوحنا وشركائه، وعندما علم البابا بذلك أعلن قرار الحرمان ضد الأمير يوحنا أف مورتان وشركائه وعلى أراضيهم وحرمانهم من الخدمات الدينية فيما عدا تعميد الأطفال، وكان من بين المحرومين كنسيا وليم مارشال [32].

وعندما علم الأمير يوحنا أف مورتان باحتجاز الإمبراطور الألماني هنري السادس أف هوهنشتوفن Henry VI of Hohenstaufen (1190-1197 م / 586-594 هـ) لشقيقه ملك انجلترا ريتشارد كرهينة في ألمانيا، أسرع إلى الملك الفرنسي فيليب أغسطس في أواخر يونيو سنة 1193 م / رجب سنة 590 هـ وقدم له يمين الولاء والتبعية عن الممتلكات الإنجليزية في فرنسا، وعن انجلترا، ثم عاد بعد ذلك إلى انجلترا في أغسطس سنة 1193 هـ / شعبان سنة 590 هـ، وحاصر قلعة ولنجفورد، وقلعة وندسور التي استسلمت له ثم ذهب إلى لندن، وأكد كل من وليم مارشال إيريل بمبروك وباقي

31 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 132)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 229-231)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 112-113)

32 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 241-244)

المستشارين وفاة شقيقه الملك ريتشارد، وطلب الأمير يوحنا منهم أن يقوموا بأداء يمين الولاء والتبعية له كملك لانجلترا، ولكن المستشارين ومن بينهم وليم مارشال رفضوا ذلك لأنهم لم يثقوا في كلامه، فقام وليم مارشال وباقي المستشارين بمقاومة الأمير يوحنا ونازلوه هو وقواته الأجنبية، ثم قاموا بتقوية المواني وكل الأماكن البحرية بوضع حاميات كما نجحوا في أسر بعض المرافقين له، وبعد ذلك أجبر وليم مارشال وباقي المستشارين الأمير يوحنا على الاستسلام وأخذوا منه قلعة وندسور بعد أن حاصرها ثم أبرموا معه معاهدة على أن تبقى قلعة نوتنجهام في أيدي الإيريل وليم مارشال كما سبق الإشارة إلى ذلك، وبذلك نجحوا في القضاء على المؤامرة [33]، وفي تلك الأثناء أرسل الملك ريتشارد وهو في الأسر خطابا إلى الإيريل وليام مارشال وبقية المستشارين والملكة الأم إليانور يحثهم على جمع سبعين ألف مارك فضة لفديته، وبالفعل قام وليم مارشال وباقي المستشارين بجمع الفدية، وبعد ذلك أتى إلى لندن رسل الإمبراطور هنري السادس واستلموا الجزء الأكبر من الفدية [34]، وبعد حصول الملك ريتشارد على حريته عاد إلى انجلترا، وعندما علم وليم مارشال إيريل بمبروك بوصول الملك ريتشارد ميناء ساندويش Sandwich في الثالث عشر من مارس سنة 1194 م / التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة 591 هـ في نفس الوقت الذي وصلته الأخبار بوفاة شقيقه الأكبر يوحنا مارشال صاحب قلعة مارلبورو، الذي لم يكن له ولد تصرف وليم مارشال بعقلانية حيث أرسل فرسانه لمرافقة جثمان أخيه وهو في طريقه لاستقبال الملك ريتشارد متوقفا في سيرينستر Cirencester شمال غرب مارلبورو لإلقاء النظرة الأخيرة على أخيه، ثم اتجه بعد ذلك إلى ميناء ساندويش، وبوصول الملك ريتشارد إلى أراضي بلانتجنت سيطر على انجلترا مرة ثانية، وبذلك انتهى دور وليم مارشال كمستشار، ثم عينه الملك ريتشارد في منصب

---

33 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 133)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 287 ; 289)

34 (Richard, King of England, Letter to queen Eleanor his mother and his justiciaries in England 1853)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 290-291, and pp. 304-305)

مارشال الذي ورثه من أخيه يوحنا مارشال، كما سمح له بوراثة أراضي أخيه يوحنا مارشال [35].

وفي الفترة 1194-1199 م / 591-596 هـ قاتل وليم مارشال إيريل بمبروك مع الملك ريتشارد في حروبه ضد ملك فرنسا فليب أغسطس لاسترداد الأراضي والقلاع التي أخذها ملك فرنسا أثناء فترة غياب الملك ريتشارد في الأراضي المقدسة وألمانيا، وانضم وليم مارشال إلى الملك ريتشارد فور عبوره القنال الانجليزي إلى نورماندي في مايو سنة 1194 م / جمادى الأولى 591 هـ. ولحماية الحدود الشمالية لدوقية نورماندي بنى وليم مارشال قلعة على قمة صخرية تشرف على نهر السين Seine على أن تكون ذات أبراج مستديرة مخالفا بذلك الأبراج المربعة التي كانت أكثر شيوعا في انجلترا وفرنسا في ذلك الوقت، حيث استفاد وليم مارشال أثناء حروبه ضد المسلمين في بلاد الشام بملاحظته أن الأبراج المستديرة أسهل في الدفاع من الأبراج المربعة، فنقلها وليم مارشال عن بلاد المسلمين، وهكذا أوجد طرازا جديدا في بناء القلاع في غرب أوروبا [36].

وفي عام 1199 م / 596 هـ حدث نزاع بين الملك ريتشارد وجيدومار فيسكونت ليموزين Guidomar Viscount of Limoges، حول كنز في ليموزين بدوقية إكوتين، حيث أراد جيدومار الاحتفاظ بجزء من الكنز لنفسه فحاصر الملك ريتشارد قلعة فصله وتسمى شاليو Chalus، وأصيب الملك ريتشارد بسهم جرحه في يوم السادس والعشرين من مارس سنة 1199 م / الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة 596 هـ، وبعد ذلك بثماني أيام وهو على فراش الموت أمر وليم مارشال بالذهاب إلى روان واستلام قيادة القلعة وأن يكون قيما على الكنز الملكي في نورماندي خلال الفترة الفاصلة، وفي السابع من

---

35 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 135-136)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 134)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 102)

36 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 137 ; pp. 140-150)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 108 ; p. 128)

إبريل توفي الملك ريتشارد متأثرا بجراحه [37]، وبعد ذلك أمر الأمير يوحنا أخو الملك ريتشارد المارشال وليم إيريل بمبروك وهو في نورماندي بالذهاب إلى انجلترا ليسيطر على شئون الحكم في المملكة.

توفي الملك ريتشارد بدون ابن يخلفه في العرش وكان الوريثان المحتملان هما أخيه يوحنا، وابن أخيه آرثر بن جيفري دوق بريتاني Geoffrey Earl of Brittany ولكن وليم أيد إدعاء يوحنا بحقه في التاج، وقام بدور رئيس في إخضاع البارونات الانجليز الساخطين في بلدة نورثامبتون Northampton، الذين تذكروا محاولات الأمير يوحنا في الاستيلاء على العرش أثناء أسر الملك ريتشارد وأسفرت جهود وليم مارشال في دعم يوحنا بالفوز [38].

وفي نفس يوم تتويج يوحنا ملكا في السابع والعشرين من مايو سنة 1199 م / الحادي عشر من شعبان سنة 596 هـ كافأ الملك يوحنا المارشال وليم بمنحه لقب إيريل بمبروك كما جعله في الفترة بين مايو سنة 1199 م / شعبان سنة 596 هـ، ونهاية سنة 1201 م / 598 هـ، شريفا على جلوسيسترشاير Gloucestershire وسسكس Sussex والقيم على قلعة جلوسيستر وبريستول [39].

وفي يونيو سنة 1199 م / شعبان 596 هـ، رافق وليم مارشال إيريل بمبروك الملك يوحنا إلى نورماندي وظهر اسم وليم مارشال في كثير من الأحيان بوصفه شاهدا على المعاهدات المهمة في الفترة من سنة 1199 م / 596 هـ إلى سنة 1200 م /

---

37 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 158)

38 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 452-454) (Painter 1982, p. 118)
(Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 160)
(Roger of Hoveden 1853, v. 2, pp. 456-457)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 179)

39 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 459)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 122-123)

597 هـ [40]، وكذلك أعطى الملك يوحنا ضمانات إقطاعية لأتباعه الذين أقسموا له يمين الولاء والطاعة بأن يأتوا إليه بكل إقطاعياتهم الواقعة في الجانب الأوروبي على القنال الانجليزي ومن بينهم وليم مارشال، وذلك في سنة 1200 م / 597 هـ ما لم يتقيد الملك يوحنا بمعاهدة السلام والاتفاقية بينه وبين فيليب الثاني ملك فرنسا [41].

وشارك وليم إيريل بمبروك بإخلاص في حملات الملك يوحنا ضد فيليب الثاني ملك فرنسا في الفترة من سنة 1201 م / 598 هـ إلى أواخر سنة 1203 م / 600 هـ للدفاع عن الحدود الشمالية لإقليم نورماندي [42].

وترتب على استيلاء فليب الثاني ملك فرنسا على نورماندي، ومين، وانجو، قيام يوحنا ملك انجلترا بإرسال سفارة للسلام إلى فيليب الثاني كان من بين أعضائها وليم إيريل بمبروك في إبريل سنة 1204 م / رمضان سنة 601 هـ وخلال تلك المفاوضات وافق الملك الفرنسي على عقد اتفاقية سلام مع الملك يوحنا شريطة أن يقوم الأخير بإطلاق صراح آرثر أف بريتاني، وقد كان مقصد الملك فيليب من هذا الشرط معرفة ما إذا كان آرثر على قيد الحياة أم لا، ولم يكن لديه نية حقيقية في إقامة السلام، إلا أن وليم مارشال استغل الفرصة للتفاوض مع الملك فليب لمصلحته للحفاظ على إقطاعياته في نورماندي، فاشترط الملك فليب الثاني على وليم مارشال بأن يجعل ولاءه الإقطاعي إلى ملك فرنسا، وأن يقسم بألا يشترك في معركة ضد فرنسا وإلا يخسر إقطاعياته، وعلى هذا وافق وليم مارشال على شروط ملك فرنسا في حال عدم تمكن يوحنا ملك انجلترا من استرداد نورماندي في غضون عام واحد [43]، وبعد ذلك عاد السفراء ومن بينهم وليم

---

40 (Roger of Hoveden 1853, v. 2, p. 461)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 127)

41 (Roger of Hoveden 1853, v.2, p. 511)

42 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 163-167)
(Roger of Hoveden 1853, v.2, p. 522)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 127-135)

43 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 175-176 and pp. 176, n. 1)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 208-209) (Painter 1982, pp. 137-138)

مارشال إلى انجلترا وأخبروا الملك يوحنا على شروط الملك الفرنسي فيليب الثاني لإقامة السلام.

وفي فبراير سنة 1205 م / رجب سنة 602 هـ أرسل الملك يوحنا سفارة ثانية إلى الملك الفرنسي فيليب الثاني برئاسة وليم إيريل بمبروك، وقبيل الرحيل تحدث وليم إيريل بمبروك مع الملك يوحنا يذكره بشروط اتفاقية سنة 1204 م / 601 هـ خاصة وأن المهلة التي أخذها وليم إيريل بمبروك قد شارفت على الانتهاء، وسأل وليم إيريل بمبروك الملك يوحنا قائلا: "هل أقدم يمين الولاء للملك فيليب" فأجابه الملك يوحنا بموافقته بأداء اليمين، ثم رحلت السفارة إلى ملك فرنسا الذي كان موجودا آنذاك في كومبين Compiegne شمال فرنسا وهناك قدم وليم إيريل بمبروك يمين الولاء للملك الفرنسي عن أراضيه في نورماندي، ونتيجة لذلك نجح الإيريل وليام مارشال في الحفاظ على إقطاعياته في نورماندي ولكنه خسر ثقة وحب الملك يوحنا، وعندما عاد وليم مارشال إلى انجلترا قادما من فرنسا انتقده الملك يوحنا واتهمه بالخيانة وزادة الهوة اتساعا بين الملك يوحنا وتابعه وليم مارشال[44].

وفي يونيو سنة 1206 م / ذي القعدة سنة 603 هـ عندما استدعى الملك يوحنا أتباعه ومن بينهم وليم إيريل بمبروك وطلب منهم مرافقته في حملة لاستعادة بواتيه، لكن وليم إيريل بمبروك رفض، فغضب الملك يوحنا وأخذ من وليم مارشال كل قلاعه الواقعة في انجلترا وويلز وأخذ اثنين من أكبر أبنائه كرهائن، وعلى الرغم من كل ذلك حافظ وليم مارشال على ولائه لسيده الأعلى الملك يوحنا ولم يتمرد عليه، ثم ترك انجلترا وأبحر هو وزوجته إلى أيرلندا في السابع والعشرين من فبراير سنة 1207 م/ الثامن من شعبان سنة 604 هـ لحماية أتباعه وميراث زوجته الأيرلندية في كونتية لينستر وبقي في أيرلندا حتى سنة 1214 م / 611 هـ، وخلال ذلك أرسل الملك يوحنا رسول إلى وليم

---

[44] (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 178-179)

مارشال يأمره بسرعة الحضور إلى انجلترا للمثول أمام المحكمة الانجليزية، وقبيل الرحيل عقد وليم مارشال مجلسا مع رجاله وزوجته إيزابيل وأمرهم بحراسة إقطاعيات زوجته الكونتيسة، ثم رحل إلى انجلترا في الخامس والعشرين من يناير سنة 1208 م / السادس عشر من رجب سنة 605 هـ، وهناك نجح وليم إيريل بمبروك في إقناع الملك يوحنا بأنه لا يمثل أي تهديد له ولذلك سمح له الملك يوحنا بالعودة إلى أيرلندا في السادس من مارس سنة 1208 م / السابع والعشرين من شعبان سنة 605 هـ [45].

وفي سنة 1209 م / 606 هـ ازدادت العلاقة سوءا بين الملك يوحنا وإيريل بمبروك وليم مارشال عندما فر وليم دي برويز William de Briouse من ويلز إلى أيرلندا عندما رفض أن يقسم يمين الولاء والتبعية وتسليم ابنه كرهينة للملك يوحنا ضمانا لسداد ديونه، فلجأ إلى صديقه القديم وليم مارشال الذي رحب به وآواه في أيرلندا [46]. وعلى الرغم من كل ذلك أراد الملك يوحنا أن يخفف من حدة العداء بينه وبين وليم مارشال حينما استدعاه للمشاركة معه في حملته على ويلز سنة 1211 م / 608 هـ فأعاد إلى الإيريل وليم كل قلاعه في انجلترا وويلز وجميع الرهائن باستثناء ولديه، وبعد نجاح الملك يوحنا في حملته على ويلز بمساعدة وليم إيريل بمبروك استأذن الإيريل وليام مارشال الملك يوحنا في العودة إلى أيرلندا [47].

وعندما علم الملك يوحنا باستعدادات ملك فرنسا فيليب الثاني لغزو انجلترا أجبر على استدعاء وليم إيريل بمبروك للعودة إلى انجلترا، ولذلك قام الملك يوحنا بإطلاق

---

45 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 180-184)
(Roger of Wendover 1849, v.2, p. 218)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 139-142 ; pp. 146-147)

46 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 196-197)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 248)
(C.F. Also: Painter 1982, pp. 161-162)

47 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 198)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 257)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 170)

سراح ولديه اللذين كان رهائن عند الملك يوحنا كل هذه السنوات، وعلى هذا عاد وليم مارشال إلى بلاط ملك انجلترا بولائه المألوف في مايو سنة 1213 م / ذي القعدة سنة 610 هـ [48]، وساند وليم إيريل بمبروك الملك الانجليزي يوحنا في الصراع بينه وبين البابا إنوسنت الثالث Innocent III (1198-1216 / 494-613 هـ) عندما نصح وليم مارشال الملك يوحنا بقبول شروط البابا حين التقى الملك يوحنا بالمبعوث البابوي باندولف Pandulf في مبنى فرسان الداوية بالقرب من دوفر Dover في الخامس عشر من مايو سنة 1213 م / الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة 609 هـ، وذلك بحضور نبلاء انجلترا ومن بينهم وليم إيريل بمبروك، وتنص هذه الشروط على قبول الملك يوحنا حكم انجلترا وأيرلندا كإقطاع من البابا وتقديم فروض الطاعة والولاء للمبعوث البابوي كفصل إقطاعي، ودفع جزية سنوية للبابويه مقدارها ألف مارك إسترليني سنويا، سبعمائة مارك عن انجلترا وثلاثمائة مارك عن أيرلندا.

وكان وليم إيريل بمبروك شاهدا أيضا على إبرام هذه الاتفاقية [49]، وقد ظهر اسم وليم مارشال كضامن في خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى المندوب نيقولا أسقف توسكيليم Nicholas Bishop of Tusculum في يوليو سنة1214 م / صفر سنة 611 هـ والذي ينص على دفع الملك يوحنا اثنى عشرة ألف ماركا سنويا إلى الكنيسة مقابل إلغاء عقوبة الحرمان الكنسي عنه [50]، وكان الملك يوحنا في ذلك الوقت في بواتيه، ولذلك فوض وليم مارشال في إدارة شئون المملكة [51].

48 (Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 201-202)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 261-263)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 173)

49 (Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 268-269)
(Matthew 1853, v. 2, pp. 215-217)

50 (Innocent III 1849)
(Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 296)

51 (Roger of Wendover 1849, v. 3, p. 204)

وعندما عاد الملك يوحنا إلى انجلترا في التاسع عشر من أكتوبر سنة 1214 م / الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة 611 هـ مهزوما من ملك فرنسا في معركة بوفيه Beauvais في السابع والعشرين من يوليو سنة 1214 م / 17 ربيع الأول سنة 611 هـ تفاقم النزاع بين الملك والبارونات لإتباعه سياسة قمعية بفرض الضرائب على البارونات من أجل استئناف الحرب مع ملك فرنسا، ولكنهم اعترضوا واجتمعوا في كنيسة سانت إدموند St. Edmund وأعلنوا أنهم سوف يقاتلوا في سبيل الحريات التي يتضمنها مرسوم الملك هنري الأول وكان وليم مارشال قلبه مع البارونات وولاؤه للملك، ففي يناير سنة 1215 م / رمضان سنة 612 هـ تحرك البارونات إلى لندن ليعلموا الملك يوحنا بطلباتهم، فنصح وليم مارشال الملك يوحنا بضرورة إرضاء البارونات [52]، ولكن الملك يوحنا ماطل في الرد فظن البارونات أنه يستعد لمحاربتهم فجمعوا قواتهم في استامفورد Stamford ومنها اتجهوا إلى مدينة براكلي Brackley وعندما علم الملك يوحنا بذلك وهو في أكسفورد Oxford أرسل وليم مارشال إيريل بمبروك في السابع والعشرين من إبريل سنة 1215 م / الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 611 هـ ككبير المفاوضين إلى معسكر البارونات في براكلي ليحصل على قائمة بمطالب المتمردين وبعد ذلك عاد وليم إيريل بمبروك إلى الملك يوحنا بتلك المطالب، ولكن عندما قرأها الملك يوحنا رفضها تماما، ولم يستمع إلى نصيحة وليم مارشال بقبولها، ثم عاد وليم مارشال مرة أخرى وأخبر المتمردين برفض الملك لمطالبهم، فأعلن المتمردون الحرب على الملك يوحنا واتجهوا إلى لندن ونجحوا في الاستيلاء عليها في الرابع والعشرين من مايو سنة 1215 م / 23 محرم سنة 612 هـ [53]، ولم يكن أمام الملك يوحنا قدرة على مقاومة اتحاد البارونات، لذلك أرسل وليم مارشال إلى المتمردين في لندن ليخبرهم رغبة الملك في السلام وأنه سوف يلبي طلباتهم، ونتيجة لذلك اتفق الطرفان على أن يجتمعوا في رونيميد Runnmede الواقعة

---

[52] (Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 303-305)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 178)

[53] (Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 305-307)

على ضفاف نهر التايمز، وهناك اجتمع الطرفان وكان وليم مارشال من ضمن فريق الملك المفاوض للبارونات، وبعد مفاوضات طويلة بين الفريقين التقى الملك يوحنا بالبارونات في الخامس عشر من يونيو سنة 1215 م / الخامس عشر من صفر سنة 612 هـ في رونيميد ووقع وثيقة العهد الأعظم (مجناكارتا Magnacarta)، كما وقع على وثيقة العهد الأعظم أيضا وليم مارشال كشاهد على بنود الوثيقة حيث كان له دور كبير في صياغتها [54].

وسرعان ما أدرك الملك يوحنا أنه أجبر على توقيع وثيقة العهد الأعظم في رونيميد استجابة لمطالب البارونات، فتنصل منها، ولذلك تأهب المتمردون لشن الحرب، وعلى هذا أصبحت المملكة على شفا حرب أهلية، فزحف الملك يوحنا يدمر أراضي المتمردين في الشرق ويحرق الشمال، بينما ذهب وليم مارشال إيريل بمبروك إلى ويلز في الغرب في صيف سنة 1215 م / 612 هـ لمقاومة الويلزيين الذين ثاروا ضد السيطرة الإنجليزية، وللدفاع عن قلاعه في بمبروك، فاستنجد البارونات المتمردون بالملك فيليب أوغسطس لمساعدتهم وعرضوا عليه التاج الانجليزي إلى ابنه الأكبر الأمير لويس، وعندما علم الملك يوحنا بذلك أرسل سفارة على رأسها وليم مارشال إلى ملك فرنسا فيليب في مارس سنة 1216 م / ذي الحجة سنة 613 هـ آملا في أن يقوم بمنع ابنه الأمير لويس من غزو انجلترا، ولكن مفاوضات وليم مارشال باءت بالفشل وعاد إلى انجلترا [55].

بعد عدة شهور من وصول الأمير لويس الأراضي الانجليزية بمساعدة البارونات المتمردين مرض الملك يوحنا فجأة، وذلك في أكتوبر سنة 1216 م / رجب سنة 612 هـ، واستجدى حاشيته وهو على فراش الموت بأن يؤيدوا رغبته في أن يقوم وليم إيريل بمبروك بعناية ابنه الأكبر ووريثه الأمير هنري بعد وفاته عندما يخلفه في العرش،

---

54 (Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 308-310)
(C.F. Also: Painter 1982, p. 180)

55 (Anonymous, history of william the Marshal, David Charles Douglas. English historical documents. Lodon: Routledge, 1996. Vol III, p. 81)
C.F. Also: Painter 1982, pp. 183-185)

ذلك أن الأمير هنري لن ينجح في السيطرة على المملكة إلا بمساعدة وليم مارشال الذي وثق فيه الملك يوحنا لأنه كان دائما يخدمه بإخلاص ولم يقم بأي فعل عدائي ضده، وبعد ذلك توفي الملك يوحنا في قلعة نيوآرك Newark في التاسع عشر من أكتوبر سنة 1216 م / السادس عشر من رجب سنة 612 هـ، وحمل جسمانه إلى ورسيستر Warcester [56].

وكان الأمير هنري بلانتجنت متحصنا أثناء التمرد في قلعة ويلتشير Wiltshire في دفيزس Devizes بينما كان وليم مارشال إيريل بمبروك في جلوسيستر، وعندما علم بوفاة الملك يوحنا أسرع وليم مارشال إلى ورسستر وهناك التقى بالبارونات الذين رافقوا جثمان الملك يوحنا من نيوآرك وقاموا بدفنه في كنيسة القديس وولستان St. Wulstan ثم عاد وليم مارشال والبارونات والمندوب البابوي جالو Gualo إلى جلوسيستر وهناك عقدوا مجلسا تقرر فيه استدعاء الأمير هنري بلانتجنت من ملجئه إلى جلوسيستر، وخرج وليم مارشال بنفسه لمقابلة الأمير هنري في مالمسبوري Malmesbury وعندما شاهد الأمير هنري الإيريل وليم مارشال حياه بحرارة قائلا له: "أهب نفسي لله ولك وأسأل الله أن يعطيك نعمته لكي تحميني" فأجابه وليم إيريل بمبروك قائلا: "بروحي سأخدمك بإخلاص وبكل قوتي" وبعد ذلك اتجه الجميع إلى جلوسيستر، وهناك توج الأمير هنري ملكا وهو في التاسعة من عمره وعرف بالملك هنري الثالث (1216-1272 م / 613-671 هـ) في كنيسة كونفنتول Conventual في حضور المندوب البابوي جالو والعديد من رجال الدين والإيرلات ومن بينهم وليم مارشال إيريل

[56] History of William the Marshal, op. cit, vol III, p. 82
Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 212
Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 378
Matthew 1853, v. 2, p. 128
C.F. Also: Painter 1982, pp. 189-190.

بمبروك في الثامن والعشرين من أكتوبر سنة 1216 م / ثم أقسم الجميع يمين الولاء والتبعية للملك الصغير [57].

وفي اليوم التالي اجتمع مجلس البارونات وقرروا الموافقة على وصية الملك يوحنا في اختيار وليم إيريل بمبروك كوصي على الملك هنري الثالث القاصر والمملكة، وفي البداية رفض الإيريل وليم مارشال إيريل بمبروك الوصاية بسبب كبر سنه والأحوال الاقتصادية والسياسية السيئة للبلاد، لكن وبعد إصرار البارونات جميعا وافق وليم مارشال على أن يكون الوصي على الملك الصغير هنري [58].

وفي الحال أرسل الإيريل وليم مارشال خطابا إلى كل النبلاء وقادة القلاع في انجلترا يأمر كل منهم أن يطيعوا الملك الجديد ووعدهم بالممتلكات بالإضافة إلى العديد من الهدايا في حال التزامهم بالإخلاص للملك هنري الصغير، وهكذا التزم النبلاء وقادة القلاع الذين خدموا أبيه الملك يوحنا، وبدأ الكل بالإعداد للدفاع وتحصين قلاعهم بكل قواهم استعدادا للحرب ضد الأمير لويس، ومنذ ذلك الحين استعمل الإيريل وليم مارشال الوصي خاتمه على الرسائل والقرارات التي أصدرت باسم الملك [59].

ولكي ينال الإيريل وليم مارشال الدعم الكبير من قبل البارونات اتبع سياسة إصلاحية بإعادة إصدار العهد الأعظم باسم الملك هنري الثالث في مجمع عقده في مدينة بريستول حضره مؤيدي الملك من الأساقفة والبارونات في الثاني عشر من نوفمبر سنة 1216 م / الثلاثين من رجب سنة 613 هـ، وقد أقر الإيريل وليم مارشال باسم الملك هنري الثالث حقوق بارونات انجلترا التي نص عليها العهد الأعظم، وذلك من أجل أن يربح

---

[57] History of William the Marshal, op. cit, pp, 82 – 83, Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 378-380
Matthew 1853, v. 2, pp. 129-130
C.F. Also: Painter 1982, p. 192

[58] History of William the Marshal, op. cit, vol III, p. 83
Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 214-216
Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 380
Matthew 1853, v. 2, p. 132 and n. 1)

[59] (Roger of Wendover 1849, v. 2, p. 380)

الحرب ضد الأمير لويس ويضمن السلامة، وحملت هذه الوثيقة خاتم الوصي وليم إيريل بمبروك، وبعد ذلك ابتكر الوصي الإيريل وليم مارشال طرق جديدة لزيادة المال لتمويل الحرب ضد الأمير لويس، فقام بتحويل الذخائر الملكية إلى أموال، كما قام ببيع الجواهر والملابس النفيسة المخزنة في القلاع الملكية واشترى بها التجهيزات الحربية ودفع أجور الجند [60].

وفي العشرين من يناير سنة 1217 م / العشرين من شوال سنة 614 هـ قاد الوصي الإيريل وليم مارشال الحرب بنفسه وزحف نحو قلعة مونتسوريل Montsorel في شرق مقاطعة ليسيستر **Leicester** وحاصرها ولكن عندما علم بقدوم قوات الأمير لويس رفع الحصار عن قلعة مونتسوريل وانسحب إلى قلعة نوتنجهام وفي تلك الأثناء اتجهت القوات الفرنسية لحصار قلعة لنكولن فقرر الوصي وليم إيريل بمبروك بعد التشاور مع كبار رجال المملكة التوجه إلى نيوآرك ومنها إلى لنكولن لرفع الحصار، وفي لنكولن شن الوصي الإيريل وليم مارشال هجوما سريعا على الفرنسيين في التاسع عشر من مايو سنة 1217 م / العاشر من صفر سنة 614 هـ، وعلى الرغم من زيادة عدد الجنود الفرنسيين والمؤيدين لهم من الانجليز عن قوات الملك هنري الثالث بقيادة وليم مارشال إلا أن النصر كان حليفا لقوات الملك هنري الثالث الذين أجبروا قوات الأمير لويس على الفرار من قلعة لنكولن، وعندما علم الفرسان المدافعون عن قلعة مونتسوريل بهزيمة قواتهم في لنكولن وفرارهم إلى لندن فروا هم أيضا من مونتسوريل، وعندما علم الوصي الإيريل وليم مارشال بطلب الأمير لويس وهو في لندن من أبيه الملك فليب أن يمده بالمساعدة العسكرية من فرنسا، نصح الملك هنري الثالث بمراقبة السواحل بعناية وحذر، ومنع اقتراب الأسطول الفرنسي، ثم اتجه الوصي وليم مارشال إلى دوفر وأمر ثمانين سفينة بالتجمع في ساندويش والإبحار لمواجهة الأسطول الفرنسي القادم، وهناك دارت معركة

[60] (Painter 1982, p. 200-204)

كبيرة بين الأسطولين انتهت بانتصار حاسم للأسطول الانجليزي في الرابع والعشرين من أغسطس سنة 1217 م / الثامن عشر من جمادى الأولى سنة 614 هـ [61].

وبعد ذلك قام الوصي وليم إيريل بمبروك بحشد قواته والتوجه إلى مدينة لندن لحصار الأمير لويس وقطع كل الطرق البرية والبحرية المؤدية إليه لمنع وصول أي إمدادات له ولكي يجبره على الاستسلام، وعلى هذا أصبح الأمير لويس في موقف حرج بعد ضياع آماله في وصول الإمدادات فطلب السلام من الوصي الإيريل وليم مارشال، ودارت مفاوضات بين الطرفين انتهت بمعاهدة تنص على انسحاب الأمير لويس وأتباعه من انجلترا بأمان، وتم التوقيع على هذه المعاهدة التي أنهت الحرب بين الطرفين وذلك في مدينة ستانيس Staines على نهر التايمز Thames في الحادي عشر من سبتمبر سنة 1217 م / السابع من جمادى الآخرة سنة 614 هـ، وأظهرت الموافقة على هذه المعاهدة براعة المساومة والحنكة السياسية السليمة وضبط النفس للوصي الإيريل وليم مارشال الذي رغب في السلام الوطيد والاستقرار للملك هنري الثالث [62].

وبعد ذلك قاد الوصي وليم مارشال إيريل بمبروك المملكة الإنجليزية إلى التحسن بأن أعاد حقوق بارونات انجلترا إليهم، كما تعهد بإطلاق سراح جميع الأسرى المحتجزين في قلعة لنكولن ودوفر بدفع مالا إلى الأمير لويس، وبعد ما تسلم الأمير لويس خمسة آلاف جنيه إسترليني، أسرع إلى الساحل الانجليزي تحت حراسة الوصي الإيريل وليم مارشال وعبر القنال إلى فرنسا [63]، وتركت القوات الفرنسية العديد من الأراضي والقلاع الخاصة بالوصي الإيريل وليم مارشال مدمرة ومنها قلعة مارلبورو التي ولد فيها

---

61 History of William the Marshal, op. cit, vol III, p. 87 – 92
Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, pp. 228-236 ; pp. 239-241
Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 389-400
C.F. Also: Painter 1982, pp. 213-222

62 History of William the Marshal, op. cit, vol III, p. 94
Roger of Wendover 1849, pp. 401-402; Matthew 1853, v. 2, p. 132 and n. 1
C.F. Also: Painter 1982, pp. 222-224

63 (Roger of Wendover 1849, v. 2, pp. 402)

وقلعة نيوبوري التي كاد أن يشنق فيها وهو طفل من قبل ستيفن، ومن أجل إرساء قواعد الحكم للملك هنري الثالث قام الوصي وليم إيريل بمبروك في الشهور التسع التالية بإعادة تنظيم النظام الإداري والمالي والقضائي في جميع أنحاء المملكة الإنجليزية [64]. وبذلك أصبح الوصي وليم مارشال إيريل بمبروك أعظم سياسي في السنوات الأخيرة من عمره، ولكن هذا الفارس الذي لا يهزم قد مرض في نهاية يناير سنة 1219 م / ذي القعدة سنة 616 هـ فأصبح غير قادر على الصعود على ظهر فرسه، فأمر رجاله بأن ينقلوه في قارب عبر نهر التايمز من برج لندن إلى بيته الانجليزي المفضل في كافيرشام Caversham في كونتية أكسفورد قرب ريدينج Reading وذلك في السادس عشر من مارس سنة 1219 م / السابع والعشرين من ذي الحجة سنة 615 هـ، وواصل إتمام العمل وهو في فراش موته حيث عقد اجتماعا حضره الملك هنري الثالث، والمندوب البابوي باندولف، وبطرس دي روشي Peter des Roches و البارونات للتشاور معهم فيمن سيخلفه في الوصاية، وأخيرا رشح الوصي الإيريل وليم مارشال المندوب البابوي باندلولف في أوائل إبريل سنة 1219 م / السابع والعشرين من صفر سنة 616 هـ، وفي اليوم التالي حمل جثمانه إلى لندن حيث دفن في كنيسة الداوية [65].

يتضح مما سبق أن الدراسة انصبت على شخصية وليم مارشال الذي دخل في خدمة أعظم ملوك آل بلانتجنت، فكان أبرز قائد في فن القيادة في عصره عسكريا، وسياسيا.

ومن الممكن قراءة سيرة الإيريل وليم مارشال من خلال عادات عصره الإقطاعي من الوفاء، والولاء، والشرف، وتعاظم دوره من عهد إلى آخر.

---

64 (Painter 1982, pp. 270-271)

65 History of William the Marshal, op. cit, vol III, p. 95;
Anonyme, Histoire de Guillaume le Maréchal 1901, v. 3, p. 256-269
Matthew 1853, v. 2, p. 135
C.F. Also: Painter 1982, p. 277, 279 ; and p. 289)

ولقد مرت حياة الإيريل وليم مارشال بثلاث مراحل كان لكل منها طابعه الخاص؛ المرحلة الأولى، مرحلة الفروسية وقد تميزت بما يلي:

- دور وليم مارشال في معركة درينكورت سنة 1167 م / 563 هـ.
- التوتر بين وليم مارشال وبين الملك هنري الصغير لما أشيع من علاقة بينه وبين مارجريت زوجة الملك.
- دوره مع فرسان الداوية أثناء الحروب الصليبية في الأراضي المقدسة.
- جهود وليم مارشال العسكرية والدبلوماسية أثناء فترة الحرب بين الملك هنري الثاني، والملك فيليب أغسطس؛ وترأسه سفارة إلى الملك فيليب سنة 1188 م / 584 هـ.

المرحلة الثانية، وهي مرحلة تولية وليم مارشال إيريلية بمبروك، وقد تميزت بما يلي:

- جهود وليم مارشال ضمن ممثلي مجلس المستشارين في انجلترا أثناء غياب الملك ريتشارد في الحملة الصليبية الثانية.
- دوره في حروب الملك ريتشارد ضد ملك فرنسا فيليب أغسطس في الفترة 1194-1199 م / 591-596 هـ.
- جهوده في ارتقاء الملك يوحنا لعرش انجلترا.
- جهوده الدبلوماسية في رئاسة سفارتين بهدف السلام مع الملك فيليب سنة 1204 م / 601 هـ ، وسنة 1205 م / 602 هـ.
- رحيله إلى أيرلندا بسبب الشقاق بينه وبين الملك يوحنا نتيجة قيامه بأداء يمين الولاء عن أراضيه في نورماندي للملك فيليب أغسطس أثناء السفارة الثانية سنة 1205 م / 602 هـ.
- دوره في حملة الملك يوحنا على ويلز سنة 1211 م / 608 هـ.
- جهوده في اتفاق التسوية بين الملك يوحنا والمبعوث البابوي باندولف سنة 1213 م / 609 هـ.

- جهوده في التفاوض مع بارونات انجلترا الثائرين ضد الملك يوحنا بعد هزيمة الأخير في موقعه بوفيه سنة 1214 م / 611 هـ ، وشهادته على وثيقة الماجناكارتا سنة 1215 م / 612 هـ.
- رئاسته سفارة إلى الملك فيليب أغسطس سنة 1216 م / 613 هـ ، بهدف منع الأمير لويس من الإبحار إلى انجلترا.

أما المرحلة الثالثة، وهي مرحلة تولي وليم مارشال الوصاية على الملك هنري الثالث الذي لم يتجاوز التاسعة من عمره، وقد تميزت هذه المرحلة بما يلي:

- جهوده في تهدئة البارونات الثائرين بإعادة إصدار وثيقة الماجناكارتا، وإقرار حقوقهم.
- دوره في معركة لنكولن سنة 1217 م / 614 هـ.
- دوره في معركة ساندوتش البحرية سنة 1217 م / 614 هـ.
- دوره في اتفاقية استانيس بينه وبين الأمير لويس سنة 1217 م / 614 هـ لإتمام السلام.

وهكذا نجح الوصي الإيريل وليم مارشال في الوصول إلى قمة الحكم في انجلترا وتمكن من إعادة تنظيم المملكة وإعادة الأمن والاستقرار داخل البلاد.

William Marshal Earl of Pembroke & his Political Rule in Plangent Family Era

A.D 1167-1219/A.H 563-616

One can read the biography of Earl William Marshal through the feudal customs of his time: fulfillment, loyalty, honor, and the fact that his role became more important from era to another.

Earl William Marshal's life went through three phases, each of them has its own distinct characteristic; the first phase: Equestrian, which was distinguished by the following:

- The role of William Marshal in Drin court battle in A.D. 1167/ A.H. 563.
- The tension arose between William Marshal and young King Henry, due to the rumor of a relationship between him and Margaret, wife of the king.
- His role with Daoism knights during the Crusades in the Holy Land.
- William Marshal diplomatic and military efforts during the war between King Henry II, and King Philip Augustus; and he was the head of an embassy to King Philip year A.D. 1188 / A.H. 584.

The second phase: the inauguration of William Marshal (Earl of Pembroke), which was characterized by the following:

William Marshal's efforts among the representatives of the House of Councilors in England, during the absence of King Richard in the Second Crusade.

- His role in King Richard's wars against the French King Philip Augustus during the period A.D. 1194-1199/ A.H. 591-596.
- His efforts in the accession of King John to the throne of England.
- His diplomatic efforts as head of two embassies aiming at peace with King Philip in A.D. 1204 / A.H. 601, and A.D. 1205 / A.H. 602.
- His departure to Ireland because of the discord between him and King John that resulted from taking the oath of allegiance for territory in Normandy to King Philip Augustus, during the time of the second embassy in A.D. 1205 / A.H. 602.

- His role in King John's Campaign against Wales in A.D. 1211 /A.H. 608.
- His efforts in the settlement agreement held between King John and the Papal Envoy Bandulu year A.D. 1213/ A.H. 609.
- His efforts in negotiating with the rebellious Barons of England against King John, after the latter being defeated in the Battle of Bouvines in A.D. 1214 / A.H. 611, and his testimony on Magna Carta document in A.D. 1215/ A.H. 612.
- He was sent by the embassy to King Philip Augustus in A.D. 1216/ A.H. 613, in order to prevent Prince Louis from sailing to England.

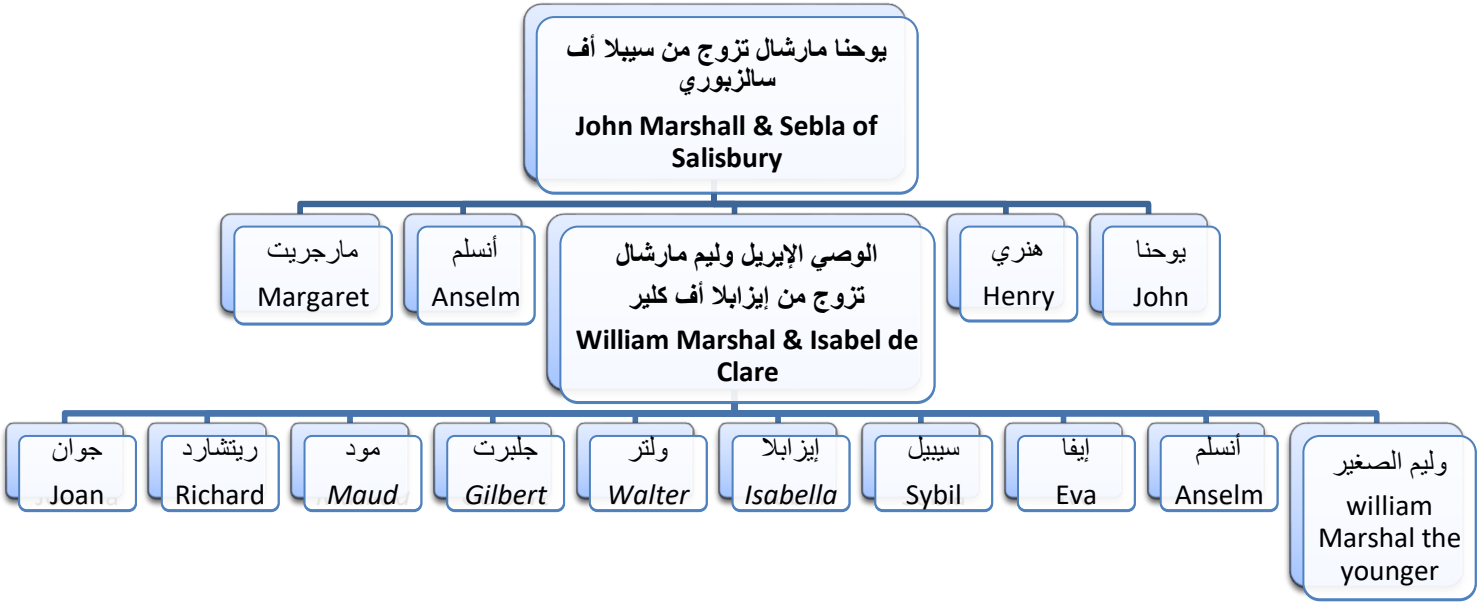

آل يوحنا مارشال

قائمة المصادر والمراجع

أولا الوثائق الأجنبية:

- Richard, King of England. "Letter to nobles of England C.F. Roger of Wendover." In *Flowers of History*, by Roger of Wendover, v. 2, p. 111. London: Gilles, J.A., 1849.
- Richard, King of England. "Letter to queen Eleanor his mother and his justiciaries in England." In *Annals of roger of Hoveden*, by Roger of Hoveden, v. 2, pp. 290-291. 1853: H.G. Bohn, 1853.
- Richard, King of England. "Letter to William Marshal C.F. Roger of Wendouver." In *Flowers of History,*, by Roger of wendover, v. 2, p. 111. Londen: Gilles, 1849.
- Innocent III, Pope of Rome. "Letters to Nicholas, Bishop of Tuschlum." In *Flowers of history*, by Roger of Wendover, v. 2, pp. 295-296. London: Gilles, 1849.

ثانيا المصادر الأجنبية:

- Anonymous, history of william the Marshal, David Charles Douglas. English historical documents. Lodon: Routledge, 1996.
- *Histoire de Guillaume le Maréchal.* Paris: Renouard, 1901.
- Matthew, of Westmister. *Flowers of history : especially such as relate to the affairs of Britain ; from the beginning of the world to the year 1307.* London: H. G. Bohn, 1853.
- Roger of Hoveden, d. ca. 1201. *annals of Roger de Hoveden. Comprising the history of England and of other countries of Europe from A.D. 732 to A.D. 1201.* London: H.G. Bohn, 1853.
- Roger of Wendover, d. 1236. *Flowers of history : compromising the history of England from the descent of the Saxons to A.D. 1235.* London: Bohn, 1849.

- ثالثا المراجع الأجنبية:

- Painter, Sidney. *William Marshal : knight-errant, baron, and regent of England.* Toronto: Univ. of Toronto Press, 1982.

- Tyerman, Christopher. *England and the Crusades 1095-1588.* Chicago: University of Chicago Press, 1988.